الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

دراسة فنية وفكرية لخطب الجمعة للشيخ أحمد بن عمر أوبكة

عينات مختارة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالب:

- شقبقب يونس

إشراف:

- أ.د. يحيى بن بهون حاج المحمد

الموسم الجامعي: 1445هـ / 2023 – 2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

دراسة فنية وفكرية لخطب الجمعة للأديب أحمد بن عمر أوبكة

عينات مختارة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالب: شقبقب يونس

إشراف: د. يحي بن بهون حاج امحمد

اللجنة المناقشة:

الدكتور: مسعود خرازي ..... رئيسا

الأستاذ الدكتور يحي حاج امحمد ..... مشرفا ومقررا

الدكتورة مليكة بن قومار ..... مناقشا

الموسم الجامعي: 1445هـ / 2023 – 2024م

ملخص:

إن المفهوم البسيط للخطابة هو إلقاء الكلام المنثور مسجوعا أو مرسلا لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل.

ولقد تميزت الخطابة الإسلامية العربية على نظيرتها الغربية بعدة أصول وقواعد نجدها قد تبلورت وظهرت في خطب الأديب أحمد أوبكة.

الأديب أحمد بن عمر أوبكة أحد الرجال الذين تميزوا بهذا الفن وعرفوا مختلف أنواعه الدينية والأدبية، ومن الخصائص الفنية التي تميزت بها: الأسلوب الراقي المتين واللغة، والأداء.

Abstract

The simple concept of rhetoric refers to the process of delivering a speech to attract the addressees to an opinion or to encourage them to do a work.

The Arab Islamic rhetoric, unlike the Western one, was distinguished by several basics and rules that appeared in the speeches of Sheikh Ahmed OUBEKKA.

Sheikh Ahmed ben Omar OUBEKKA is famous for this art and is known for its various religious and literary types. The elegant solid style, language, and performance characterized his speeches.

Yahia BOUKERMOUCHE Erriadeh Schoo

إهداء:

نهدي تحية عطرة كعطر الياسمين أقطفها من بستان الحب الوفاء لأقدمها إلى أعز وأعظم شخص والدي أطال الله في عمره، وأعانني لأرد له ربع ما قدمه لي بسخاء وكرم، دمت وساما على صدري.

إلى من جعلتني زهرة في بستانها، إلى من سهرت من أجلي الليالي، إلى عيني التي أرى بهما إلى رمز الحنان.... أمي العزيزة: دمت أملا أعيش من أجله.

إلى الغالية التي واستني وصبرت معي ... زوجتي العزيزة أدام الله الود بيننا.

إلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب واللغات جامعة غرداية.

إلى كل الزملاء الذين التقيت بهم في الصرح الجامعي وكل رفقاء الدرب الدراسي.

إلى من عرفتهم والتقيت بهم في مشوار الحياة ولو بابتسامة صادقة.

مُقَدِّمَة

تعتبر الخطابة من أرقى أنواع الفنون الأدبية بعد الشعر، وكما عرفت بالتجارب الإبداعية الجديدة التي جعلت من القرآن الكريم مصدر إلهام ومقياس يقاس عليه مستوى الخطابة، فمن جانب هو المعيار الذي يكال به ومن جهة أخرى هو النبراس الذي يستنار به ويعتمد عليه لتأكيد ما جاء به أو مدافعا عنه.

وتهدف هذه الدراسة من خال هذا البحث إلى دراسة خطب لأحد الأدباء الذين برزوا في هذا المجال فطبعت أعماله في كتابين وهما صوت المسجد من منبر الجمعة، وكذا صوت المسجد من منبر العيدين، محاولين كشف اللثام عن هذا الفن الذي لقي بعضا من التهميش في دراسته، نظرا لما يحويه هذا الفن من إبداع أدبي مغيب في هذا العصر نظرا للأجناس الأدبية الأخرى.

أما عن دواعي اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ"دراسة فنية فكرية لخطب الأديب أحمد أوبكة" هو انجذابنا نحو الفن التي نادرا ما تتناوله في الدراسات الجامعية، وكذا بحثنا في الإبداع المحلي والذي يعتبر الأديب أحمد أوبكة أحد رواد في الجنوب الجزائري.

وأهداف البحث تمثلت فيما يلي:

- إبراز فن الخطابة وما يحويه من إبداع أدبي إلى الساحة النقدية.
- دراسة الأدب الجزائري الزاخر فالأولى بدراسته أهله.
- إبراز الأدباء المغيبين في الجنوب الجزائري والذين لم يحظوا بدراسة أعمالهم.
- التعريف بالأديب والشيخ أحمد بن عمر أوبكة.

من خلال ما سبق يتبادر إلى ذهننا أسئلة عدة:

ما هي ظروف التي عايشها الشيخ أحمد أوبكة؟ ما هي الخطابة. وكيف تطورت؟ ما هي الخصائص الأدبية التي تميز بها الخطيب أحمد أوبكة في خطبه؟

- من خلال هذه الأهداف يمكن أن نقدم خطة موجزة عن البحث:

البحث متكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ فالمبحث الأول تناولت فيه "الخطيب أحمد أوبكة" أديبا وحياته، وكذا تم التطرق إلى الخطبة (التعريف والخصائص والأنواع ومراحل تطورها)" يندرج تحته مطلبان؛ المطلب الأول عرفنا فيه الأديب وأهم أعماله، أما المطلب الثاني فعرفنا فيه الخطبة والتطور الزمني لها وخصائصها وأنواعها بعد دخول الإسلام؛ أما المبحث الثاني عنونته بـ"الدراسة الفكرية والفنية لبعض خطب الأديب أحمد أوبكة" والعينة تناولت خطبة "حال المسلمين بين المعاصي والذنوب واحتباس المطر"، واندرج تحته مطلبين؛ المطلب الأول درست فيه جانب الأفكار ومحتويات خطبة أما المطلب الثاني درست فيه الجانب الفني لهذه لخطبة من حقول دلالية، وكذا جانب الأساليب الخبرية والإنشائية، وشكل الخطبة ولغتها، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، وكما يجدر بنا أن نشير بأن الخطبة التي ألقيت عليها ضوء البحث موجودة في الملحق.

ولكي تكون الدراسة منهجية فإني قد اتبعت المنهج الفني، فالتاريخي لبسط تاريخ الخطابة قديما وحديثا، وأما الفني في تحليل الخطبة.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الفن:

- فن الخطابة عند الإبراهيمي للطالبة إيمان تيارتي جامعة تلمسان.
- خصائص الأسلوب الخطابي عند الخلفاء الراشدين للطالبة صورية براهيمي جامعة بسكرة.
- فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول للطالب عامر فتحي محمد الشيخ أحمد جامعة الشق الأوسط.
- الحجاج في خطب البشير الإبراهيمي للطالبة خولة ناصري جامعة قالمة.

- الخطابة في العصر العباسي دراسة أسلوبية جمالية، للطالبة سعيفي عائشة شيماء جامعة بسكرة.

أما من حيث الصعوبات التي واجهتها في هذا البحث:

- نقص المادة العلمية في هذا الفن.
- ندرة المصدر الذي أخذنا منه الخطب: كتب الأديب.

وفي الأخير أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في طرحي لهذا الموضوع وأتمنى أن أكون قد أسهمت ولو بنزر يسير في إعطاء الموضوع قيمته الأدبية والجمالية التي يستحقها، وألتمس العذر عن تقصيري كذلك، وكما لا أنسى فضل الأساتذة الذين وقفوا بجنبي وقدموا لي مساعدات قيمة لإثراء الموضوع وأخص بالذكر الدكتور الفاضل يحي بن بهون حاج امحمد الذي أشرف على بحثي، وكذا الأستاذ عيسى بن صالح موسى وإبراهيم الذي أمدني بالمؤلّف القيم فلكما مني أتم التحية وأتمنى لكما التوفيق في مساركما العلمي والعملي سائلا المولى أن يثيبكما الأجر وأن يدخلكما الجنة مع النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين...آمين والحمد لله رب العالمين...

والله ولي التوفيق

غرداية يوم: الثلاثاء 27 صفر 1445هـ

12 سبتمبر 2023م

المبحث الأول

المبحث الأول:

- المطلب الأول: التعريف بالأديب أحمد بن عمر أوبكة.
- المطلب الثاني: الخطبة: التعريف، التطور الزمني لها، خصائصها، وأنواع الخطب بعد دخول الإسلام.

المبحث الأول:

المطلب الأول: التعريف بالأديب أحمد بن عمر أوبكة. [1]

سيرة الأديب أحمد بن عمر أوبكة

1. النشأة والتكوين العلمي:

أ. النشأة: إذا أردنا أن نتعرف على شيخنا أحمد أوبكة وحياته، فمن المهم أن تعرف مولده ونشأته والبيئة التي تربى فيها ومدى تأثيرها في حياته، فهو من مواليد سنة 1348هـ/1930م، بغرداية، في بيئة متدينة حريصة على دينها، بين والد شهم، متفان في خدمة المجتمع، وأم برة محسنة صالحة محبة للخير، شب الابن النبيه أحمد، ونشأ وترعرع كما تنمو النبتة الطرية محولة معطيات البيئة وإمكانات الحياة إلى زهر طيب وثمر نضيد.

ب. التكوين العلمي: تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة «غليزان»، فتتلمذ على يد أساتذة منهم: الشيخ أحمد بابا عمي (رحمه الله)، انتقل بعدها إلى غرداية، والتحق بكتاب الشيخ بمون بن إبراهيم فخار، وختم فيه القرآن وتلقى به مبادئ النحو والفقه والتوحيد.

انتقل إلى القرارة سنة 1941م وبقي فيها إلى غاية 1951م، استظهر فيها القرآن، وتخرج على أيدي الثقات من أهل العلم والفضل، أبرزهم: الشيخ إبراهيم بيوض والشيخ عدون بن بلحاج وفي رحاب معهد الحياة وداخلية الحياة صقلت مواهبه، ونمت ملكاته.

2 الحياة العملية:

أ. التدريس بمدن الشمال: اشتغل الأديب أحمد أوبكة بالتدريس في مدينة «قسنطينة» سنة 1952م وأمضى فيها تسعة أشهر، ليتحول إلى مدينة سطيف، حيث أمضى فيها سبع سنين مثمرة، كانت كلها خصوبة ونماء، لينقطع عنها ويعود إلى مدرسة الإصلاح بغرداية.

---

[1] ينظر، الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر العيدين، منشورات ألفا، 2015، ص 23/15.

انتقل بعد ذلك إلى هران وعمل رفقة الشيخ إبراهيم أداود في المحكمة الإباضية مدة سنتين.

ب التدريس بمدرسة الإصلاح، ومعهد الإصلاح: عاد الأديب أحمد أوبكة إلى مزاب، سنة 1962م، وغداة الاستقلال وبدأ التدريس بمدرسة الإصلاح الابتدائية، ليلتحق في الثمانينات بمعهد الإصلاح، مدرساً لمادة أصول الدين وإليه يعود الفضل في وضع مقررات العلوم الشرعية بمعهد الذكور ومعهد البنات (دروس في التوحيد، الوجيز في أصول الدين، الفقه الميسر).

3 نشاطه الثقافي والاجتماعي:

أ. كشافة الإصلاح من نافلة القول عند الحديث عن الحكة الكشفية ذكر نضال الأديب أحمد أوبكة، قائداً ثم عميداً، منذ نشأة كشافة الجنوب، إلى ظهور فوج الإصلاح فجر الاستقلال في احتفاليات 05 جويلية 1962م ولا تسل عن توجيهاته السديدة في المخيمات الكشفية، والتجمعات المحلية وقد اختارته إدارة كشافة أفواج الإصلاح مرشداً لأفواجها خلفاً للشيخ حمو فخار.

ب. لجنة نشاطات ثقافية متنوعة وسجلت الأيام حضوره أيضاً في الأفراح، منشدًا وأديبا وشاعرا. كما كانت له إسهامات ثقافية في مهرجان الإصلاح، في طبعاته المختلفة.

ج. عشيرته آل محرز للشيخ أحمد أوبكة حضور بارز في عشيرته، فقد تحمل قضاياها الاجتماعية من أعراس ووساطة وتوجيهات في المناسبات العامة.

4 نشاطه الدعوي:

انخرط الأديب أحمد أوبكة في حلقة إروان بالمسجد العتيق، وكان من مؤسسي حلقة عزابة الإصلاح سنة 1983م، انبرى لمهمة الدعوة والإرشاد منذ الستينات من القرن الماضي، مرافقاً

للشيخ حمو فخار وسنداً له في مشروع إصلاح الأوضاع الاجتماعية، وعلاج الآفات والفساد والخرافات، فهو مرجعية الفقه والفتوى في جمعية الإصلاح، وهو شيخ حلقة العزابة ومفتيها.

كما تعد خطب الأديب أحمد أوبكة قطعاً أدبية نفيسة جمعت إلى عمق الفكرة، سلاسة العبارة، يعزز ذلك رصيد من القيم السامية والأخلاق العالية، ولا تسل عما حوته هذه الخطب القيمة من معاني الوطنية المتدفقة وروح التآخي والتقارب بين المسلمين.

إضافة إلى الدروس المسجدية والخطب الجمعية، تحمل الأديب أحمد أوبكة بصدق وإخلاص مهمة الدروس الموجهة للنساء.

5. مؤلفات الأديب أحمد أوبكة قراءة وصفية:

تعد كتابات الأديب أحمد أو بكة متميزة في مجال الأدب، تميز كاتبها، الذي أولى عناية للأدب بفنونه المختلفة: نثراً وشعراً... كما يعد شعر الأديب أحمد أوبكة من أنفس ما خطت الأقلام مبنى ومعنى؛ فقد اتخذه أداة للتربية والإصلاح والتوجيه الاجتماعي.

المسرحيات مسرحية «فتح سمرقند»، مسرحية «البطولة الخالدة»، وأهمها مسرحية شعرية «غزوة الأحزاب».

الأناشيد: نشيد مرحى لنا يا مسلمين، نشيد وافرحتاه بلغنا المني»، نشيد «ما السلسبيل»، نشيد «عهدنا» الذي تنشده الفرق الكشفية البلدية غرداية في المناسبات الرسمية والمحلية.

في مجال العقيدة والفقه والأخلاق: لم تكن مؤلفات الأديب أحمد أو بكة نزال طفرة عاطفية، أملتها حدة ظروف أو مواقف، وإنما كانت كتاباته ضمن رؤية واضحة، وتخطيط دقيق، وسداً للحاجة الملحة لجمهور القراء غير المتخصصين، وإفادتهم ما لا يسع جهله من مسائل الفقه

والشريعة، مشفّعة بالضروري من الأدلة، بأسلوب مشرق قريب، ومنهج واضح في التقسيم والتبويب.

وسنقتصر في هذه العجالة على ذكر عنوان الكتاب وسنة تأليفه:

- أزواج النبيء وآداب المرأة المسلمة: الله الشيخ سنة: 1390هـ 1970م، طبع ثلاث طبعات وقد حظيت الطبعة الثالثة بزيادات، ومحاولة إخراج في ثوب جديد، سهل التناول والإدراك.
- كتاب الوصية وأحكامها تم تأليفه سنة 1429هـ / 1983م، هو فقه، يضم أحكام الوصية وأدبيات كتابتها.
- لمحة وجيزة في التعريف بالإباضية مقرر مدرسي يضم خلاصات عن آراء الإباضية ويترجم الأعلامها وأئمتها، يقع في 37 صفحة، من الحجم المتوسط.
- دروس في التوحيد: مقرر مدرسي موجه لطلبة السنة الرابعة متوسط، معهد الإصلاح للبنين والبنات يضم مباحث في العقيدة، طبع سنة: 1429هـ/1998م
- الوجيز في أصول الدين (الجزء الأول): مقرر مدرسي موجه الطلبة السنة الأولى ثانوي بمعهد الإصلاح للبنين والبنات يضم مباحث عقدية طبع سنة 1997م
- الوجيز في أصول الدين (الجزء الثاني): مقرر مدرسي موجه لطلبة السنة الثانية ثانوي بمعهد الإصلاح للبنين والبنات طبع سنة: 1429هـ/1998م.
- مجموع فتاوى هي جواب عن اسئلة وردت للشيخ تضم: 154 سؤالاً في باب المعاملات عدا بعضها في العبادات والآداب الإسلامية طبعت سنة 1419هـ/1998م.
- الفقه الميسر (الجزء الثاني) فصل فيه الأديب أحمد أوبكة باب الزكاة والصوم والحج.
- الفقه الميسر (الجزء الأول): كتاب يضم باب الطهارة، وباب الصلاة، اعتمد مقرراً دراسياً بالمعهدين (معهد الإصلاح للبنين، معهد الإصلاح للبنات للمرحلة المتوسطة.

- الطلاق وأحكامه يتناول الكتاب أحكام الطلاق، وكأنه شق ثان لكتاب الشيخ حمو فخار الطلاق.. أسبابه وعلاجه»، يجد فيه المؤمن والمؤمنة المخرج السليم إذا قدر فانزلقا في هاوية الطلاق الموحشة.
- هذا، فضلا عن بحوث فقهية وافية لا تزال مخطوطة، نرجو أن ترى النور قريبا.

تبقى هذه الكلمات ومضات سريعة عن جهاد علم من أعلام الجزائر ونضاله في سبيل إصلاح المجتمع، والنهوض بالأمة. أوفى الله أجره، وأمده بروح منه، وأقر عينيه بكل خير.

المطلب الثاني: الخطبة: التعريف، التطور الزمني لها، خصائصها، وأنواع الخطب بعد دخول الإسلام.

أولا: تعريف الخطبة في اللغة:

ذكر صاحب معجم مقاييس اللغة في كتابه: "(خطب): الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين ، يقال خاطَبَه يخَاطبُه خطَابًا؛ والخطبة من ذلك وفي النكاح الطلب أن يزوج. والخطبة الكلام المخطوب به. ويقال اختطَب القوم فلانا؛ إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم.

والخطب: الأمر يقع، إذا سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة.

وأما الأصل الآخر فاختلاف لونين، قال الفراء: الخطباء: الأتان التي لها خط أسود على متنها...." [1]

قال ابن منظور: "قيل هو سبب الأمر، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جلل، وخطب يسير" [2]

كما عرفه الزمخشري فقال: "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، واختطب القوم فلانا؛ إذا دعوه إلى أن يخطب فيهم"[3]

تعريف الخطبة في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح فوردت عدة تعريفات متكاملة فيما بينها نذكر بعضا منها على وجه الخصوص:

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، س.ط: 1979، ج:2، ص: 199/198.

[2] أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص97.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996، ص 112.

فقد ذُكر في كتاب فن الخطابة وإعداد الخطيب للكاتب ‹‹محفوظ علي›› أن الخطابة عرفت في الاصطلاح أنها: "مجموع قوانين يقتدر على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد، والإقناع حمل السامع على التسليم بصواب المقول وصحة الفعل أو الترك"[1]

كما ذكر ‹‹أبو زهرة›› تعريفا آخر فقال: "أنّها صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم في إقناعهم"[2]

وقد عرفها ‹‹أرسطو›› بقوله: "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة"[3]

فقد ورد في معاجم المصطلحات هذا التعريف: "إنّها مجموعة من القواعد يلتزم بها الخطيب أثناء إلقاء خطبته أمام الجمهور وذلك كرفع الصوت وخفضه أحيانا، ومراعاة الصور البيانية، وتقسيمها إلى فقرات والضغط على المواطن الهامة فيها ..."[4]

نلاحظ في التعريفات السابقة بعض التشارك في المفاهيم حيث إننا نجد أن الخطابة إنما تقوم على مجموعة قوانين، توصلنا إلى الاقتناع بالفكرة التي يلقيها الخاطب على المستمعين، مستعينا بحجج وبراهين لإثبات نظرية ما، أو مؤثرا في النفوس لاستمالتها إلى التسليم بصحة ما يقال.

---

[1] ينظر، محفوظ علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د.ت، ص 13.

[2] عبد الله علي جابر المري، الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية، ص11 /12.

[3] محفوظ علي، فن الخطابة، ص 14

[4] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، ص119

ومما يعينه أيضا حدة الصوت وارتفاعه وخفضه حال إلقاء تلك الخطبة أمام الجمهور، ومما يضاف إليه كذلك ما عرف الأدباء به الخطبة فقالوا: "إلقاء الكلام المنثور مسجوعا كان أو مرسلا، لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل وهذا ما يريدونه في قولهم: فلان يقوم على الخطابة أكثر مما يقوم على الكتابة"[1] وهنا تم إضافة شطر للتعريف من جهة الاستعمال اللغوي؛ حيث إننا نجد أنه قد أضاف بعض المحسنات اللغوية التي من شأنها أن تضفي لمسة فنية فيها.

من خلال ما سبق يمكن أن نقول بأن الخطبة تعرف على أنها: كلام منثور مبني على قوانين وأسس يوصل من خلاله رأيا أو توجيها لاستمالة المستمعين له مستعينا ببعض الأساليب التي من شأنها إقناع المخاطبين بأمر يدعي أنه صحيح.

ونلاحظ أيضا في هذه التعريفات أنها ركزت على تعريف الخطبة كونها تعتمد إما على الخطاب المباشر وغرضها في ذلك إما تثقيف السامع أو توجيه نحو رأي ينظر على أنه الصواب مستدلا بحجج أغلبها ظنية أو قابلة للزيادة والنقصان، أو النوع الثاني وهو البرهان الذي يعتمد في خطبته على إثبات شيء بحجج وبراهين عقلية ونقلية، وفي كل هذا نجد أن الخطب أنواع عدة تعددت بتشعب مواضيعها الذي يراد أن يناقش فيه.

ثانيا: التطور الزمني للخطبة:

إن الخطابة وجدت في تجمعات الناس وتجمهرهم، فهي الوسيلة التي ترتكز عليها؛ إذ إننا نجد لكل تجمع أناس لهم شأن في هذا، وكان الرسل والأنبياء من السباقين لهذا المجال فكانوا في الخطابة سباقين لأجل نشر تعاليم الحق وتبليغ رسالة الله للعالمين.

[1] محفوظ علي، فن الخطابة، ص 14

أما من حيث ظهور الخطابة بأصولها وقواعدها، فتعود لليونان حيث بدأت الخطبة تؤسس بقواعد وقوالب خاصة بها، "وأول من دوَّن قواعدها ثلاثة من فلاسفة اليونان في أواخر القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد: بروديكوس، وبرتاغوراس معاصره ثم غورجياس سنة 380 ق.م، وفي أواخر القرن الرابع سنة 322 ق.م ظهر أرسطو زعيم فلاسفة اليونان فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة من أصول هذا الفن إلا دوَّنه ونشره في كتابه (الخطابة) ومن هذا الحين صارت الخطابة فنا مدونا"[1]

هذا في الحضارات الغربية، أما في العصر الجاهلي فقد كانت الخطابة صنو الشعر فالشاعر والخطيب مقدسان ولهما مكانتهما الاجتماعية، والمواضيع التي كانت تتناول في تلك المدة هي المواضيع السياسية والمفاخرة بالأنساب وقوة العصبية؛ فكانت تثور بينهم الحوارات العنيفة ومجادلات كثيرة تسبب في شن الغارات على القبائل الأخرى، مما يدعو إلى تجلي مكانة الخطباء في هذا العصر في الدعوة إلى القتال وإصلاح ذات البين والوفادة على الملوك، معتمدين على عدة أساليب منها الوصول إلى المشاعر وتحريكها امتلاكا للقلوب وجلبا للنفوس.

"وخطب العرب ضربان: طوال وافية وقصار كافية، ولكل مقام يليق به، قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ فقال: نعم ليسمع منهم. فقيل له وهل كانت توجز قال: نعم ليحفظ عنهم.

وقد مدحوا الإطالة في مكانها كما مدحوا الإيجاز في مكانه فكانوا يستحسنون الإطالة في خطب الصلح. يروى أن قيس بن خارجة بن سنان قيل له في شأن الصلح بين عبس وذبيان: ما عندك في هذه؟ فقال: قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن أن تطلع الشمس إلى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى عن التقاطع. قالوا: فخطب يوما إلى الليل فما أعاد في خطبته

[1] المرجع السابق، ص21.

معنى، وكانوا إلى القصار أميل لانطباعهم على الإيجاز. ولأنها إلى الحفظ أسرع وفي البقاع أشيع. وكانت لهم عناية بسرد كثير من الحكم والنصائح والأمثال وخصوصا في القصار منها"[1]

وبعد نزول الآية الكريمة: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾ ﴾ [2] ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿94﴾ ﴾[3] بدأت الدعوة الجهرية للرسالة الربانية المرسلة إلينا عبر رسولنا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، فبدأ عهد جديد في العهد الإسلامي فاكسب الخطبة العربية رداء جديدا من حيث الشكل والمضمون، حيث أننا نجد تعدد مواطن إلقاء تلك الخطب، وكما عدها الإسلام ركنا رئيسا له فخصص لها من يوم الجمعة وقتا معلوما يجتمع فيه جميع المسلمين لأداء صلاتهم فتلقى عليهم خطبة جامعة في أمور دينهم وما يصلح دنياهم، وكذا من يوم العيدين حيث اجتماع الأبدان والقلوب لأداء الشعائر والنسك.

ومن أهم أنواع الخطب التي اشتهرت في العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين: الخطب السياسية التي يلقيها رئيس الوفد بعد وفادتهم على رسول الله ﷺ أو على الخلفاء الراشدين معلنين دخولهم الإسلام أو مباركين مبايعين على الولاء والطاعة على أمير المؤمنين، وكذا نجد أن الخلفاء يخطبون حينما تأتيهم فرصة فلا يفوتونها، لأنهم يرون أن النصيحة في وقتها خير من مجيئها متأخرة، ومن هؤلاء الخطباء نذكر بعضا منهم: نبينا الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عمرو بن العاص، معاوية بن أبي سفيان، أبو حمزة الشاري، عبد الملك بن مروان... فهؤلاء عينة ممن كان لهم فضل في ارتقاء الخطبة.

وقد أورد الأديب ‹‹علي محفوظ›› في كتابه "أسباب ازدهار الخطابة في العصر الأول قبل الدولة العباسية" فقال: "وبالجملة فقد كانت الخطابة في الصدر الأول من الإسلام في أسمى

---

[1] المرجع السابق، ص 23/22.

[2] الشعراء 214

[3] سورة الحجر 94

طبقات الفصاحة والبلاغة آخذة أسلوبا حيا متينا مؤثرا مع إحكام في الصنعة وحسن افتتاح وجودة اختتام ... وإن الفضل في ارتقاء الخطابة في بلاغتها وتأثيرها في عهد الصحابة والتابعين يرجع إلى الكتاب المبين والدين القويم ..." [1]

فنجد أن الكاتب قد ذكر لنا بعضا مما ازدهرت به الخطبة وهو أن القرآن الكريم هذب الألسنة كما هذب النفوس البشرية، فصار المسلمون يتنافسون على حفظ قسطا منه باعتبار أن القرآن الكريم هو الكلام الذي يتعبد بتلاوته وفيه خير عظيم في تعلمه وتلاوته، فأصبحت الخطب تنقص قيمتها إذا لم يورد صاحبها بعضا من آي الذكر الحكيم في خطبته، كما أصبح القرآن الكريم معيارا للبلاغة يقاس عليه كل الكلام الذي يورد.

ومما أعان كذلك على ازدهار الخطابة مخالطة الأجناس في الفتوحات العديدة للبلدان بعد انتشار الإسلام، فكان القائد الذي يقدم على المسلمين له نصيبه من الفصاحة والبيان، فلم تفتح جميع بلدان الإسلام بحد السيف وإنما أعان على فتحها فطنة القائد ولسانه الفصيح الذي فتح القلوب قبل فتح الأبواب والقلاع، فبعد تهذيب أخلاقهم هذب ألسنتهم فكانوا لا ينطقون إلا بالبرهان الذي لا يقبل التشكيك، فالخليفة على المسلمين أو قائد غزواتهم أو الأمير الذي يؤمَّر على بعض البلدان له باعه من الفصاحة فكانت تشرئب له النفوس ويجيبونه للطاعة فهو الآمر الناهي وهو المهذب للنفوس العليلة.[2]

وبعد ظهور الدولة الأموية تفرق المسلمون إلى شيع وأحزاب فظهرت فيهم الخطب السياسية والخطب الحجاجية التي يريدون أن يثبتوا بها الحق لأنفسهم، كل يرى نفسه هو أحق بإمارة المسلمين، وكانت البلاغة والفصاحة لها تأثيرها القوي على النفوس فيلينون النفوس إليها ويحاولوا أن يقنعوا كل من هو أمامهم بفكرهم ومعتقدهم.

---

[1] علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 26.

[2] موسى خابط عبود الكروي، عوامل ازدهار الخطابة وتطورها، د.ط، د.ن، بتصرف.

ثم بقيت الخطابة بنفس الرتابة في موضوعاتها العامة من خطب للجمعة والأعياد والمواسم الدينية (الخطب الدينية)، وبعدها تحول مجرى الخطب –مع الاحتفاظ بما سبق– وهذا بعد مجيء ‹‹جمال الدين الأفغاني›› إلى مصر؛ فاتخذ لرجال الأزهر أندية يتبارون فيها على الخطابة ذات الصبغة والدينية والأخلاقية، ثم بعدها إلى الخطب ذات الصبغة السياسية، ومن أشهر هؤلاء الخطباء نذكر الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم.[1]

يمكن أن نجمل قولنا في أن الخطابة العربية مرت بعدة مراحل:

مرحلة العصر الجاهلي: وامتازت بجزالة الألفاظ وسجع الكهان، والتباري باختيار الألفاظ.

مرحلة صدر الإسلام: وامتازت بترقيق الألفاظ وتهذيبها وجعل القرآن الكريم هو المرجع في اختيار الألفاظ، كما شهد نوعا مستحدثا وهي الخطب الدينية.

مرحلة ما بعد الخلافة الراشدة: وتميزت بظهور الخطب ذات الطابع السياسي والخطب الحجاجية.

مرحلة ما بعد ‹‹جمال الدين الأفغاني›› والصحوة الفكرية: وتميزت بإحياء بعض من الخطب الدينية والخطب السياسية الاجتماعية.

ثالثا: أنواع الخطب:[2]

1. **الخطبة الدينية:** وقد ازدهرت هذه الخطب في الكنائس أولاً. أما في الإسلام فقد ازدهرت الخطابة في المساجد وحلقات الدين. واشتهرت خطبتان إسلاميتان منذ القديم حتى الزمن الحاضر، وهما خطبة الجمعة وخطبة العيدين. وتتميز الخطب الدينية الإسلامية بأنها دعوات لتهذيب النفوس وغرس مكارم الأخلاق وتحذير من البغي والظلم ونهي عن المنكر وأمر بالمعروف، إضافة إلى عنايتها الفائقة بشرح أحكام القرآن وآداب السنة وتثقيف الناس بتاريخ الإسلام وتعريفهم بمآثره.

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 32.

[2] موقع الموسوعة العربية، عادل الفريجات وشفيق بيطار، المجلد الثامن، ص 845.

مثال من خطبة حجة الوداع: يقول رسلنا الكريم ﷺ:

" أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهن حقٌّ؛ ألا يُوطئن فُرُشَكم غيرَكم، ولا يُدخلنَ أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتينَ بفاحشة، فإذا فعلنَ ذلك، فإنَّ الله أذنَ لكم أن تَهجروهُنَّ في المضاجع، وتَضربوهُنَّ ضربا غيرَ مبرِحٍ، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكمَ رزقهنَّ وكسوتهُنَّ بالمعروف، وإنما النساء عوان عندكم - يعني أسيرات - ولا يَملكنَ لأنفسهنَّ شيئًا، أخَذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجَهنَّ بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنَّ خيرا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة، ولا يَحلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عن طيب نفسٍ منه، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فلا ترجعوا بعدي كفَّارا يضرِب بعضَكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؛ كتاب الله. أيها الناس، إن ربَّكم واحدٌ، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد."[1]

2. **الخطبة السياسية:** وهي من أصعب الفنون. وهدفها تحريك الأمة نحو أهدافها، أو الحشد الفكري والعقائدي للجماعة السياسية التي ينتمي إليها الخطيب، أو تفنيد حجج الخصوم والأعداء، أو الدفاع عن المواقف والقرارات.

"إن الله عز وجل قد ولأني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم، وإني أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمرني به، وإني امرو مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجلَّ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلُقي شيئا إن شاء الله، إنما العظمة الله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحدٌ منكم: إنَّ عُمر تغير منذ ولي، أعقل الحقّ من نفسي، وأتقدم وأبين لكم أمري، فما رجل كانت له حاجة، أو ظلم مظلمة، أو عتب علينا في خلق فَلْيُؤذنّي، فإنّما أنا رجلٌ منكم،

[1] عطية محمد سالم، مع الرسول في حجة الوداع، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط1، 1988، ص 94-95.

فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحُرُماتكم وأعراضكم، وأعطوا الحقّ من أنفُسكُم، ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلي، فإنه لَيس بيني وبين أحد من الناس هوادة، وأَنا حبيب إلى صلاحكم عزيز على عنتكم، وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد لازرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة. وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطَّلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله."[1]

3. **الخطبة العسكرية:** والغاية منها إنهاض همم الجنود للقتال وإذكاء روح الحماسة وإثارة النخوة والإقدام وتهوين الموت وتجميل التضحية وتزيين النصر.

ومن أمثلتها خطبة طارق بن زياد في جنده بعد أن أحرق سفنه في فتح الأندلس «أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر». وما قاله أحد قادة الوانداليين: «أيها الجنود، أنا إن تقدمت فاتبعوني، وان أحجمت فاقتلوني، وإن قتلت فاثأروا لي».

4. **الخطبة القضائية:** ومن شروطها سعة الاطلاع والتبحر بعلم القانون والذهن المتوقد والبصيرة النافذة.

5. **الخطبة العلمية:** وهي كلام علمي لا يستذرف دموعاً ولا يثير عاطفة. ويدخل في هذا النوع أحاديث الأندية والمحاضرات.

ويلحق بهذه الخطب خطب التأبين، وهي الكلام الذي يقال عند موت رجل عظيم أو شخص نابه. وفي هذا اللون يتفجع الخطيب على الراحل ويبرز مزاياه ويعزي ذويه ويطلب له الرحمة والغفران.

[1] موقع تربقافة (تربية وثقافة)، د.ك

رابعا: خصائص الخطبة:

إن المتأمل في النصوص الخطابية أو الخطب التي تلقى أو المكتوبة فقط خاصة بعد ظهور الإسلام؛ يجد أنها تتكون من قالب متماثل، وهذا ما يميز هذا اللون الأدبي شكلا ومضمونا، حيث إننا نجد فيه من أساليب الإقناع وإعمال العقل الشيء الكثير، لأنه به تستميل وتستهوي قلوب وسمع المتلقي الذي يسمع تلك الخطبة أو يتلوها كتابة فلا بد له من معاني تستهويه وتهيج العواطف ليصل المعنى بأقصر ما يمكن؛ ومن هذه الخصائص نذكر الذي يلي:

1. الإطناب:

يعد الإطناب عنصرا أساسيا في الخطبة -رغم أنه مذموم- إذ إنه به يفهم المعنى العام للخطبة ففي الخطب نجد تفاوتا في نوع الحضور فمنهم سريع البديهة والذي يفهم المراد قبل الإفصاح به، ومنهم عكس ذلك فالتلميح أوله ثم الإفصاح بالمعنى ثم تكريره ليتلقى تلك الرسالة المراد إيصالها، وهذا على الغالب العام، وإنما نجد خطبا قصارا تستدعيها الحاجة لذلك كالخطب العسكرية قبل بداية الحرب التي لا تحتاج إلى الإطناب ولكن إلى اليسير الذي يشد الهمم ويقوي العزائم. وفي هذا الصدد يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: " ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار؛ ولكل ذلك مكان يليق به، وموضع يحسن يه...."[1]

ومن الخطب القصيرة نجد خطبة الخليفة ‹‹أبي بكر الصديق›› بعد توليه إمارة المسلمين حيث جاء فيها: "أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص 7.

بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"

ومما يساعد على تحقيق هذه الخاصية -الإطناب- بعض الوسائل أهمها:

- التكرار المعنوي: وهو أن يؤكد كلامه بجمل عدة بألفاظ مختلفة، إذ إن الهدف هو تقوية المعنى وتثبيته.[1] كقول رسولنا الكريم في حجة الوداع: "اسمعوا قولي واعقلوه" وقوله: "ألا هل بلغت اللهم فاشهد". فإن المستمع لهذه الخطبة لا يحس بالملل من تكرار هذه الألفاظ ومعانيها رغم إعادتها عدة مرات، ولكن الهدف منها هو إدراك قيمة هذه الوصايا كأنه يخبرنا ويدلنا على قرب أجله فيقول يكررها وما على المستمع إلا الإنصات وتذكر ما يقال له.
- التفصيل والشرح: التفصيل في شرح معان قد قيلت على أساس أن يضاف لها مفردات خاصة ليعمق المعنى أكثر في نفوس السامعين.[2]

ونجد هذا جليا في الخطب الدينية خاصة: بعد إيراد آية أو حديث فلا بد من شرحها وتفصيلها ليسهل على السامعين إدراكها.

2. الوضوح:

نقصد هنا بالوضوح أي اتضاح المعاني دون ابتذالها، فلا بد للخطيب أن يختار ألفاظا من السهل فهمها ولكن المستمع البسيط يصعب عليه أن يضاهيه في تركيبها، فهنا تكمن بلاغة ذلك الخطيب، "ذلك أن الغريب والتعقيد لا يلائم السامعين، ويحوجهم إلى التفكير في المعاني، والتأويل للعبارات، فتقطع صلتهم بالخطبة والخطيب" [3]

---

[1] ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر، د.ت.ط، ص 164.

[2] المرجع نفسه، ص 165.

[3] المرجع السابق، ص168.

ومن أمثلة ذلك خطبة عبد الله بن مسعود حين قال: "أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور عزائمها، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، خير الغنى غنى النفس، خير ما ألقي في القلب اليقين.... ملاك الأمر خواتمه، أحسن الهدى هدي الأنبياء ، أقبح الضلالة الضلالةَ بعد الهدى، أشرف الموت الشهادة، من يعرف البلاء يصبر عليه، من لا يعرف البلاء ينكره" [1]

نلاحظ أن الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قد أوجز في خطبته وقدمها لمستمعيه بألفاظ سهلة على السامعين يفهمها العامي والمتعلم، فلم يوغل في جزل الألفاظ ولم يتخير أصعبها على الفهم والإدراك، والأسلوب واضح المعاني استوفى غرضه وهو النصح لله ورسوله ولعامة المسلمين.

ومما يساعد على تحقيق هذه الوسيلة -الإيضاح- نذكر بعضا منها:

- الفهم الدقيق المفصل لما سيلقيه على السامعين متجنبا الغموض ووحشي الألفاظ؛ فالغموض في المعاني مكمنه إما غموض المعنى لدى الخطيب فلم يستوعب بعد ما يقوله، أو عجز عن الإفصاح عما في مكنونه.
- الاختيار الأمثل للألفاظ؛ فلكل مقام مقال، فمخاطبة العلماء غير مخاطبة عامة الناس.
- حسن عرض الجمل وتراكيبها، مبينا عدة معان في تقديم وتأخير للجمل أو حذف مقصود معتمدا على الأساليب البلاغية والتراكيب النحوية. [2]

3. إثارة العواطف والأحاسيس:

الخطابة ليست كلمات تلقى على جماد، فالإنسان كائن اجتماعي يحس يحب ويكره؛ له غريزة للشعور بما يحيط به، لا بد للخطيب أن يحرك مشاعر السامعين؛ فقائد الجند يحرك مشاعر

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص 57

[2] ينظر، أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص 170/169.

جنوده ويدفع بهم نحو التقدم في مواجهة العدو، وخطيب الجمعة يحرك مشاعر المصلين ويبث فيهم الرغبة نحو الطاعة والنفور من المعصية والالتزام بشعائر المولى عز وجل.

ومما يساعد على تحقيق هذه الوسيلة -إثارة العواطف والأحاسيس- نذكر بعضا منها:[1]

- إثارة العواطف من خلال عاطفة الخطيب فعندما يتأثر بما يقوله سيجد ذلك في قلوب المستمعين له، فصدق العواطف أبلغ من نسج الكلمات دون أحاسيس، فمثلا المحامي الذي يدافع عن قضية ما إنما يحرك بها مشاعر القاضي ومن معه في استمالة قلوبهم وأفئدتهم نحو الجاني أو تخفيف عقوبته...
- استخدام الخيال في العبارات من خلال البيان والبديع، وكذا معرفة ما يحرك به أفئدة المستمعين كإيراد صورة عامة عاشها جميع الحضور، فحينما يخطب الإمام في صلاة الجمعة موردا آيات العذاب وآيات النعيم فتأثيرها ناقص على الذي يورد حادثة أليمة وقعت في القريب كفيضان أو زلزال...
- ومن الوسائل أيضا اختيار الكلمات القوية التي من شأنها أن تحرك القلوب، فالخطيب الذي يحدث جنوده سيحاول أن يختار الكلمات التي تعلي من جنوده وتحقر من عدوه وخصمه.
- والجمل القصار أشد تأثيرا على الجمل الطوال، فعندما دعا نوح عليه السلام قومه قال: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (12) ﴾[2]
- استخدام التشابه والتطابق، لأن التماثل أو التضاد يحرك الشعور وينبهها على وجود أمر يريد الخطيب أن يوصله، فقد قيل بالأضداد تضح المعاني.

[1] المرجع السابق، ص 179/171.

[2] سورة نوح، الآيات 12/10.

- والخطيب الملهم هو الذي يتخير لنفسه جملا بين الإنشاء والإخبار، فمن الرتابة الاستمساك بشيء واحد منهما، فالذي ينتقل من الإنشاء باستفهام وأمر ونهي ثم يعود للإخبار فذاك أحسن.

4. الجرس الموسيقي:

فالخطبة الرنانة تضفي على المسامع شيئا من الانتباه ووقع حسن في الآذان، ومن الوسائل التي تساعد على تحقيقها نذكر:[1]

- انسجام الحروف وحلاوة جرسها؛ فائتلام الكلمات والفقرات وإيقاعها يكون بطل الجمل وقصرها، وهذا نجده مثلا عندما يكون الخطيب غاضبا من شيء ما نجد سجعا خفيفا مع إسراع في الكلمات غير الخطيب السياسي الذي يناقش في أمور دولة.
- يحلو السجع إذا خلا من التكلف في لفظه، فما أروعه حينما لا نجد تنافرا أو تعقيدا فيه، فمثلا في القرآن الكريم نجد خشوعا وتلذذا بمدارسته ولكل من المسلمين يجد بعض السور المحببة له ويستأنس بها كونها فيها بعض من الجرس المستدعي للخشوع.

[1] ينظر، أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص 179/171.

المبحث الثاني

المبحث الثاني: دراسة فكرية وفنية لعينة من خطب الأديب أحمد أوبكة

- المطلب الأول: الدراسة الفكرية ومحتويات الخطبة.
- المطلب الثاني: الدراسة الفنية للخطبة.

المبحث الثاني: دراسة فكرية وفنية لعينة من خطب الأديب أحمد أوبكة

المطلب الأول: الدراسة الفكرية ومحتويات الخطبة.

أولا: جو الخطبة:

قبل البدء بدراسة الأفكار الواردة في الخطبة لا بأس بإيراد جو الخطبة باختصار؛ حيث أنه ألقى خطبة "حال المسلمين بين المعاصي والذنوب واحتباس المطر" في سنة 1989م بمسجد الإصلاح حي حواشة، وقد مرت بلدتنا غرداية بفترة شديدة من احتباس المطر فالأرض قد أجدبت والضرع قد جف، فالإنسان والحيوان والنبات كلهم في حاجة لغيث يروى به الظمئان فلذلك كتب الخطيب هذه الخطبة مذكرا الناس بما تناسوه في الأخ بالأسباب التي من شأنها الحول دون نزول الغيث.

فقبل صلاة الاستسقاء توجد مراحل قد أوردها الأديب أحمد أوبكة في خطبته والتي سنوردها لاحقا في التحليل الفكري لهذه الخطبة.

ثانيا: عرض الخطبة مع التحليل:

الحمد لله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل التوبة سببا للنجاة والفلاح فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿31﴾﴾ [1]

مقدمة استهلالية استفتاحية التي حاكت الحالة الاجتماعية للمسلمين عموما، معلنة حمد الله تعالى الأزلي على السراء والضراء، فقد قال نبينا الكريم ﷺ في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: **"كُلُّ كَلَام أَو أَمرٍ ذي بال لَا يفْتَتح بذكْرِ الله فَهو أَبتَر –أَو قَالَ أَقْطَع–"[2]** ثم أشار فيها إلى الموضوع الخاص به في هذه الخطبة، فمنها تعرف المنحى الذي تتجه إليه، وهو ذكر

[1] - سورة النور، الآية 30.

[2] موقع الإسلام سؤال وجواب، 21/04/2010، ر. السؤال: 146079.

التوبة وعلاقتها مع المسلم الذي ما يلبث أن يعصي ربه إلا وتجده سباقا إلى التوبة فهي المنجية يوم القيامة، واستدل بقول الله تعالى من سورة النور التي تؤكد قول الخطيب.

ونصلي ونسلم على أفضل التوابين، وأكمل المستغفرين، محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحابته والتابعين.[1]

ثم أثنى بعدها على خير الورى محمد ﷺ بالصلاة والسلام التامان الأكملان مؤكدا على صفاته قبل ذكر اسمه؛ مبينا موضوعه ومؤكدا عليه فوصفه بالتواب المستغفر، فهو نبينا وقدوتنا في كل شيء من أمور ديننا، فإذا كان حبيبنا ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو يستغفر بالليل والنهار فكيف بأمته، دون أن ينسى آل رسولنا الكريم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم يلقون ربهم.

أما بعد أيها الإخوة المؤمنون، فإننا ونحن عباد الله الفقراء، الراجون عونه ورفده، المؤملون خيره وفضله، المتقون نقمته، المشفقون من عذابه، ضعفاء لا حول لنا ولا طول، قصراء عن أن نحقق طلبة إلا بعون منه تعالى يمده متى يشاء لمن يشاء وكيف يشاء، ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝6﴾[2]**، سبحانه يريد منا أن نلتزم ذكره، ونستديم شكره، وأن نقبل عليه بصالح الأعمال، ليقبل علينا بما يتفضل به من نوال، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝152﴾**[3]

انتقل الخطيب إلى تبيين سبب ذكره للتوبة في استهلاله الخطبة، مؤكدا على صفات الضعف التي تعتري البشر، فالإنسان ضعيف وهو عبد منقاد لأوامر سيده وهو الله تعالى، الذي يعيش بين خوف ورجاء، فكل شيء بيده سبحانه إن أراد كونا للشيء قال له كن فيكون، ولكي

---

[1] الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر الجمعة، ص 213.

[2] - سورة آل عمران، الآية 18.

[3] - سورة البقرة، الآية 152.

يكون لنا هذا الفضل فعلينا بالذكر والشك والاستغفار دون نسيان ما يقربنا إليه من صالح الأعمال، وختمها بآية من سورة البقرة تذكر المسلم بوجوب ما أسلفنا ذكره.

أيها الناس! علينا أن نحاسب أنفسنا هل نحن على ذكر ربنا دائمون؟ وعلى التوبة مداومون، وفي شكره بالصالحات قائمون؟ ونحن نعلم أن الحياة أخذ وعطاء، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿39﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿40﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿41﴾ ﴾ [1]

الإنسان مرهون بعمله، فالزبون يقدم المال ليشتري البضاعة، والطالب يدرس ليتلقى العلم... وغيرها من الأمثلة، فلا يوجد شيء بلا مقابل تأخذ منها لتعطيك، فكيف بالله الواحد الأحد الذي تريد من الأجر دون أن تأتي بسببه؟

إن الناس اليوم يعيشون في أزمات متتابعة كقطع الليل المتشابه، وتعقدت عليهم الأمور واستعصت الحلول والمتسلطون على العالم كفرة وملحدون، شرقيون وغربيون، نسوا الله بطغيانهم فنسيهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وغرهم في حضارتهم ما كانوا يعملون، ونحن المسلمين، سرنا وراءهم تابعين، واقتفينا آثارهم غافلين، وجرينا مستمسكين بركابهم لاهثين، وتقلدنا تقاليدهم مختارين، حتى لا يقولوا عنا مازالوا متخلفين، وجاريناهم حتى لا ينعتونا بالمتشددين، فأعرضنا كما أعرضوا، وخضنا كالذي خاضوا، وتوددنا إليهم فلقينا معهم نصبا، ولم نتحبب إلى ربنا رغبا ورهبا على الرغم من أننا نشاهد ما ينزل الله من كوارث ونكبات؛ حتى إذا جاءتنا ساعة العسرة وزاغت القلوب، وأنهك قوانا النصب واللغوب، جأرنا إلى الله باكين أو متباكين، لكن رب العزة والجبروت يقول: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم

[1] - سورة النجم، الآيات: 41/39.

بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿64﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴿65﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿66﴾ ﴾ [1]

بين الأديب في هذه الفقرة ما الذي أصاب الناس في هذه المعمورة؛ فتسلط الظالم الكافر على العالم بأجمعه على الضعفاء والمستضعفين، فهم أخذوا بأسباب الفلاح في الدنيا وتناسوا الفلاح الأخروي فاستقامت لهم دنياهم لمن ينظر لهم بعين البصر أما من أمعن النظر فيجدهم في طغيانهم يعمهون وعن الصراط لناكبون.

فاقتفى المسلمون أثرهم دون أن يروا ما لهم من عواقب فاستمتع بعضهم ببعض، حتى إذا حضرت مصيبة تذكر كلا منهم مولاه وخالقه ولجأ إليه يدعوه رغبا ورهبا، فأما المسلم الموفي يدعو فيستجاب له أما العاصي فيكفيه من قول الله تعالى من سورة المؤمنون " لَا تَجْئَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ".

أيها الناس! إن الذي نشكوه اليوم في بلادنا أي في كافة القطر هو انحباس القطر، حتى كانت أرضنا أو كادت تكون صعيدا جرزا، وقد أصبح ماؤها غورا فلم نستطع له طلبا، ولا شك أن ذلك فتنة من ربنا وابتلاء، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿35﴾ ﴾ [2]

بعدها توجه الكاتب إلى ذكر عواقب التوبة ومنها انحباس المطر، فهذا هو ابتلاء للمؤمن ليختبر صدق إيمانه وابتلاء للكافر والعاصي بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى.

تذكروا معي أيها الناس أن لنزول الغيث أسبابا وعوائق، أما أسباب نزوله فالاستقامة في السلوك وصفاء القلوب، وأداء الحقوق واجتناب المعاصي والموبقات والإتيان بالفرائض

---

[1] - سورة المؤمنون، الآيات: 66/64.

[2] - سورة الأنبياء، الآية 35.

والواجبات ثم التوجه إلى الله بالدعاء الخالص، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿16﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [1]، وأما عوائقه التي تحجبه فارتكاب الفواحش وأكل الربا، وتعاطي الخمور، والضغائن والأحقاد، والخصومات، لاسيما الفاجرة، ونقض العهود والخوض في أعراض الناس، والغصب والسرقة، والرشوة وتطفيف الكيل، وأكل مال اليتيم، والإضرار بالجار ومنع الحقوق والغش، والأنانية واللامبالاة والمراهنة، ألا يكفي بعض منها فضلا عن كلها لأن تكون سببا في انحباس المطر؟ قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿63﴾ ﴾ [2]

وهاهنا وقفة مع الأسباب المؤدية لنزول الغيث، فمنها الإيمان الصادق والدعاء الخالص والإتيان بالفراض والمحافظة عليها، وغيها من القربات التي تقربنا إلى الله عز وجل درجات وتخفض بها عنا سيئات.

ووقفة أخرى مع المعيقات التي تحول بيننا ونزول الغيث وهو كثرة المعاصي وعدم رد المظالم وقد أورد الأديب عدة مظالم بها يكون العبد مبتعدا عن نهج الله القويم، وفي سورة نوح ذكر الله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام فقال: " وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا"

ولولا لطف الله بالبهائم الرتع والصبيان الرضع لما بضت مطرة ولما أصابت الناس منها قطرة. وقال الشاعر الحكيم:

يطـــــوف الســـــحاب بأرض لنـا طـواف الحجـيج ببيـت الحـرام
يريـــــد النـــــزول فيمنعـــــه ارتكـــاب الـــذنوب وأكـــل الحـــرام[3]

---

[1]- سورة الجن، الآية 16.

[2]- سورة النور، الآية 63.

[3] الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر الجمعة، ص 215.

وهنا تطرق الكاتب إلى من بشأنه ينزل الغيث رغم معاصي العباد وهم البهائم والزرع والأطفال مستعينا ببيت من الشعر يقوي معناه ويتممه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

أيها الناس! إن التوجه إلى الله والالتجاء إليه أمر محمود؛ إذ لا ملجأ من الله إلا إليه، وإن التضرع إلى الله شيء واجب؛ إذ لا مفر من قوة الله إلا إلى حماه، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [1]

بعد القيام للخطبة الثانية ابتدأها بحمد الله، ثم انتقل بعدها إلى أهمية الدعاء والتضرع إلى المولى عز وجل فمن أراد أن تستجاب دعوته فعليه بالتضرع إلى الله فهو الكفيل بالإجابة.

ولكن علينا أيها الناس أن نأتي البيوت من أبوابها، وأن نذهب إلى المقاصد من طريقها، ثم علينا أيها الناس أن نراعي مقام رب العزة ذي الجلال والإكرام، أيليق بمقام الله وجلاله ونحن ندعوه كما فعلنا يوم الجمعة الماضية – ونطلبه الغيث بجانب جبل على قمته ترتكب الفواحش وتؤتى، وعلى ظهره تعاقر الخمور وتسقى، ونحن في أسفل هذا الجبل نصلي صلاة الاستسقاء؟ ألا نخشى أيها الناس أن نكون المعنيين بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿65﴾ ﴾ [2]

---

[1]- سورة غافر، الآية 60

[2]- سورة التوبة، الآية 65

فالأحرى بنا أيها المؤمنون أن نعنى أولا بتطهير الموضع سيما وهو يحتل من البلد أعلى موقع، والأحرى بنا أيها المؤمنون أن نطهر قلوبنا، وننظف معاملاتنا، ونصفي أقواتنا، ونقوم أخلاقنا وسلوكاتنا، ونصحح وضعيتنا بيننا وبين ربنا.[1]

أيعقل أن تطلب الغيث من المولى وفينا من هو عاص ومصر على معصيته مجاهر بها؟؟ فالطيب لا يقبل إلا طيبا، فعلينا بتصفية ملفاتنا العالقة مع الله تعالى قبل أن نطلبه ونستعين به، فالمطلوب مقامه معلوم والطالب ضعيف بدونه.

ثم بعد ذلك فحيثما صلينا صلاة تعرج إلى عليين بيضاء مسفرة تقول وتردد: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿56﴾ ﴾ (2)، ثم ترتد علينا بإذن الله خيرا وبركة ومطرا غرقا مغيثا ممرعا يقول ربنا: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿10﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿11﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿12﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿13﴾ ﴾ (3)

فاللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بذنوب غيرنا ولا بما كسبت أيدينا ولا بما فعل السفهاء منا.[4]

وهاهنا خاتمة الخطبة التي من شأنها حوصلت ما وصل إليه من نتيجة؛ فعلينا بأسباب بها نسقى الغيث من توبة ورد للمظالم ثم بعدها صلاة للاستسقاء، ونطلب المولى ألا يؤاخذنا بما كسبت أيدينا ولا بما فعل السفهاء إنه ولي ذلك.

---

[1] الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر الجمعة، ص 216.

[2]- سورة الأعراف، الآية 55

[3]- سورة نوح، الآيات: 13/10.

[4] الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر الجمعة، ص 216.

ثالثا: الفكرة العامة عن الخطبة:

بعد تفصيلنا للأفكار الجزئية التي وردت في الخطبة فيمكن أن نوجزها فيما يلي:

الغيث نعمة من عند الله تعالى وكي ننعم بها علينا بطاعة الله واجتناب نواهيه، فالواهب قد اشترط شروطا لنتنعم بنعمه ويزيدنا من فضله إن نحن أحسنا طاعته والانقياد لأوامره سبحانه.

المطلب الثاني: الدراسة الفنية للخطبة:

1. شكل الخطبة:

كما تقدم في تحليل الخطبة وجدنا أن الأديب «أحمد أوبكة» قد ذكر عناصر الخطبة؛ من مقدمة استفتاحية استهل بها خطبته مع أنه لمح فيها إلى ما يجول في خطبته.

وفي العرض بسط لنا فكرة التوبة وعواقبها على المجتمع، وما تؤثر به على نزول الغيث وأسباب نقصه وانعدامه مما يسبب الجفاف مستعينا بآي الذكر الحكيم في كل فكرة يوردها.

وفي ختام خطبته أوجز لنا في أهمية التوبة والاستغفار والذكر الكثير لله تعالى وما يعقبه من نفحات ينتفع بها الخلق الكثير من الإنس والحيوان والنبات.

2. الحقول الدلالية الموظفة في القصيدة:

ذكر الأديب عدة حقول في خطبته نذكر منها اثنين ركز عليهما:

المعجم الديني	معجم الأخلاق
صلاة/ استغفار/ ذكر آيات القرآن الكريم/توبة/ الرجوع إلى الله	نقض العهود/ أكل الأموال بالباطل/ الخصومات/ أكل الربا

نلاحظ من خلال هذين المعجمين أن الأديب ركز عليهما كونهما محور الخطبة فمعجم الأخلاق ركز على السلبي أكثر، وعلى محور الشر بالخصوص كون الأديب يريد معالجة هذا الداء بتوصيفه وتحليله جيدا، فلم يهمل الجانب الإيجابي من الأخلاق لأنها لا تخدم الهدف الأسمى من الخطبة.

أما المعجم الديني فهو كالدواء الذي يريد به أن يعالج الداء الذي بسط في شرحه وتفصيله، مستعينا بذلك بآيات من الذكر الحكيم بإيرادها كما نزلت، أو باقتباس بعض معانيها، كما نلاحظ أن الخطيب متشبع بالفكر الديني نتيجة لتعلمه وتنشئته الاجتماعية والتي نشأ عليها منذ صغره.

3. اللغة من حيث البساطة والوضوح:

لغة الأديب في النص كانت بعيدة عن التعقيد وجزالة الألفاظ حيث أننا وجدناها سلسة بسيطة غير معقدة منها ما سوف ننتقيه من هذه الخطبة:

وأما عوائقه التي تحجبه فارتكاب الفواحش وأكل الربا، وتعاطي الخمور، والضغائن والأحقاد، والخصومات، لاسيما الفاجرة، ونقض العهود والخوض في أعراض الناس، والغصب والسرقة، والرشوة وتطفيف الكيل، وأكل مال اليتيم، والإضرار بالجار ومنع الحقوق والغش، والأنانية واللامبالاة والمراهنة، ألا يكفي بعض منها فضلا عن كلها لأن تكون سببا في انحباس المطر؟

نجد الأديب يستعمل بعضا من الألفاظ المألوفة عند عامة الناس منها: عوائق، يكفي، الأنانية، تطفيف، العهود، المسلم... فنلاحظ أن جل الألفاظ في النص متداولة ومعروفة عند الناس حيث يمكنك فهم الخطبة ومحتواها من القراءة الأولى لها، إذ إننا لم نجد كلمات صعبة على المتلقي إدراكها تجبره للعودة إلى المعاجم أو القواميس ولأن لغته قريبة من اللغة المحكية وهذا كله لإيصال فكرته ورسالته للمجتمع.

كما نلاحظ أيضا الاستعمال الواضح للمعجم القرآني والذي توجبه الخطبة الدينية وهذا ما نجده دائما في خطب الجمعة، فلا يمكن أن يخطب الإمام دون الرجوع إلى الدستور وهو القرآن الكريم.

الأساليب الخبرية والإنشائية في القصيدة:

قبل الولوج إلى استخراج الأساليب الخبرية والإنشائية من الخطبة فلابد من تعريف مختصر للأسلوب الخبري والإنشائي.

أ. الأسلوب الخبري:

الخبر لغة: يعرفه ابن المنظور في كتابه لسان العرب فنجد عنده الخبير من أسماء الله الحسنى العالم بما كان وما يكون، وخبرت بالأمر أي علمته، وخبرت لأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته،

والخبر بالتحريك واحد الأخبار، والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر والجمع أخبار، وجمع الجمع أخابير، واستخبره أي سأله عن الخبر...[1]

ويعرفه الدارسون في الاصطلاح: هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب مع مطابقته للواقع أو للظاهرة الفنية.[2]

أغراض الخبر: الأصل في الخبر أنه لأحد الغرضين:

- فائدة الخبر: إعلام السامع أو المخاطب بحقيقة يجهلها.
- لازم الفائدة: إقرار والاعتراف السامع أو المتكلم أو المخاطب بأنه عالم وعارف بالحقيقة.

فالغرض من الخبر إذن: الفائدة أو لازمتها، ولكن التعبير الأدبي قد يخرج من هذين الغرضين إلى أغراض أخرى وهي أغراض مجازية بلاغية: كالتحسر والمدح وإظهار الضعف والتوبيخ والتهديد....إلخ.[3]

أمثلة عن توظيف الخطبة للأسلوب الخبري:

" إن الناس اليوم يعيشون في أزمات متتابعة كقطع الليل المتشابه"

نجد أن الكاتب في هذا الموضع يخبرنا بخبر بعضنا يعلمه والآخر يتجاهله وهو أن الناس يتخبطون في أزمات عديدة، منها النفسية والاجتماعية والأخلاقية وأكبرها الأزمة الدينية.

فإننا ونحن عباد الله الفقراء، الراجون عونه ورفده، المؤملون خيره وفضله، المتقون نقمته، المشفقون من عذابه، ضعفاء لا حول لنا ولا طول.

في هذا المقطع يثبت للمستمعين ضعف الإنسان مستصغرا إياه أمام ملك الملوك رب العالمين، كي يشعر المستمعين بضعفهم وأنهم فقراء إلى الله لا بد لنا بالاستمساك بهداه واتباع نهجه فهو الهادي إلى الحق وأنزل الحق لنا للفوز به في الدارين.

---

[1]- ينظر؛ ابن منظور، لسان العرب، ص10.

[2]- ينظر؛ بكري شيخ الأمين، البلاغة العربية في ثورتها الجديدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ج1، ص53.

[3]- ينظر؛ عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.س، ص55.

ب.الأسلوب الإنشائي:

الإنشاء لغة: تعني الإيجاد، استعمل الإنشاء في الغرض الذي هو الكلام، وأقبل فلان ينشأ الأحاديث أي يضعها.[1]

اصطلاحا: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنه لم يقصد منه حكاية ما في الخارج، حيث يقدم محمد ربيع تعريفا:" إن الإنشاء هو الكلام الذي يستشرف المتكلم إلى حدوثه" [(2)] فلا ينسب إلى قائله الصدق أو الكذب.

أمثلة على استخدام الأسلوب الإنشائي:

- الاستفهام:

الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، أساسه طلب الفهم، والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحيانا بمفرد، شخص أو شيء، أو غيرهما، وتتعلق أحيانا بنسبة، أو بحكم من الأحكام، سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن، أم على شك.[3]

الاستفهام له أغراض ودلالات عدة منها لفت السامع، أو استشراف السامع لمعرفة الجواب، وكما له نوعان حقيقي ومجازي؛ ومن الاستفهام المجازي يتولد جملة من المعاني؛ كالإنكار والتعجب والتفخيم والعتاب...إلخ.

فقول الأديب:

ألا يكفي بعض منها فضلا عن كلها لأن تكون سببا في انحباس المطر؟

بعد أن ذكر الكاتب الموبقات التي سقط فيها الناس والتي تستوجب العذاب والطرد من رحمة الله –ما لم يتوبوا منها– فاستفهم ألم يكفهم بعد ما وصلوا إليه مستغربا متعجبا عاتبا عليهم ما وصلوا إليه.

---

[1] ينظر؛ ابن منظور، لسان العرب، ص 25.

[2] ينظر؛ محمد ربيع، علوم اللغة العربية، دار الفكر، عمَّان، الأردن، ط1، 2007، ص113.

[3] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص264.

أيها الناس! علينا أن نحاسب أنفسنا هل نحن على ذكر ربنا دائمون؟

في هذا الاستفهام نجد أن الأديب أورد الاستفهام ولم ينتظر الجواب من المصلين، فإن هذا السؤال يريد منه تبيين حجم الخطإ المقترف بيننا وبين الله تعالى.

- النداء:

يندرج أسلوب النداء ضمن الأساليب الإنشائية الطلبية، وهي وسيلة مهمة من الوسائل البلاغية والنحوية التي لها وقعها الخاص في النصوص الشعرية من حيث الصياغة وسبك العبارة. ومثال ذلك من الخطبة:

أيها الناس! إن الذي نشكوه اليوم في بلادنا أي في كافة القطر هو انحباس القطر.

فكلمة أيها الناس كررها الكاتب في أكثر من موضع لجذب المستمعين له، وتنبيه من قد شرد ذهنه، خاصة بعد ذكر بعض الموبقات والتي ربما البعض ينظر في ملفه مع الله ما الذي يجب عليه أن يراجعه مع الله تعالى من رد لمظالم الخالق والمخلوق، فنبهه بهذا التنبيه ليقول له إن سبب انحباس المطر إنما هو نتيجة للمعاصي المهلكات.

4. أسلوب الكاتب:

- الابتداء بحمد الله عز وجل والثناء عليه والصلاة على والسلام على الرسول الكريم وآله وصحبه.

نجد ذلك في افتتاحية الخطبتين حيث قال: "**الحمد لله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**"،" **الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين**".

- أخذه للتوجه الديني نظرا لكون الخطبة تلقى يوم الجمعة والتي يجتمع الناس فيها لأداء صلاتهم وهذا من الخطب التي تندرج ضمن خطب الوعظ والإرشاد.

ونجد ذلك في: **"أيها الناس! علينا أن نحاسب أنفسنا هل نحن على ذكر ربنا دائمون؟ وعلى التوبة مداومون، وفي شكره بالصالحات قائمون؟ ونحن نعلم أن الحياة أخذ وعطاء،** ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿39﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿40﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿41﴾ ﴾" [1]

- صفاء ألفاظها وسهولة عباراتها ومتانة أسلوبها وابتعادها عن سجع الكهان إلا النزر اليسير الذي لا بد منه كيلا يمل السامع ولا يفتر.
- قوة تأثيره ووصوله إلى سويداء قلب المستمع بما يرقق القلوب ويلينها، ويسيل الأعين الجامدة.
- محاكاته أسلوب القرآن الكريم في الإقناع والاستعانة بذلك بالآيات التي توضح معانيه وتؤكدها.

مثل: **"إن الناس اليوم يعيشون في أزمات متتابعة كقطع الليل المتشابه، وتعقدت عليهم الأمور واستعصت الحلول والمتسلطون على العالم كفرة وملحدون، شرقيون وغربيون، نسوا الله بطغيانهم فنسيهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وغرهم في حضارتهم ما كانوا يعملون، ونحن المسلمين، سرنا وراءهم تابعين، واقتفينا آثارهم غافلين، وجرينا مستمسكين بركابهم لاهثين، وتقلدنا تقاليدهم مختارين، حتى لا يقولوا عنا مازالوا متخلفين، وجاريناهم حتى لا ينعتونا بالمتشددين، فأعرضنا كما أعرضوا، وخضنا كالذي خاضوا، وتوددنا إليهم فلقينا معهم نصبا، ولم نتحبب إلى ربنا رغبا ورهبا على الرغم من أننا نشاهد ما ينزل الله من كوارث ونكبات؛ حتى إذا جاءتنا ساعة العسرة وزاغت القلوب، وأنهك قوانا النصب واللغوب، جأرنا إلى الله باكين أو متباكين"**

[1] - سورة النجم، الآيات: 41/39.

خَاتِمَةٌ

وفي ختام بحثنا هذا توصلنا إلى نتائج أهمها:

1) تغير منحى الخطابة العربية بعد ظهور الإسلام، فأصبحت ذات قواعد وأصول.
2) اعتمد الأديب على الأسلوب القرآني في الإقناع من خلال الاستدلال بما يخدم موضوعه وأفكاره.
3) اتسمت خطبة حال المسلمين للشيخ أحمد أوبكة باللغة السهلة الماتعة، وبعدها عن جزالة الألفاظ وسجع الكهان.
4) محاكاته أسلوب القرآن الكريم في الإقناع والاستعانة بذلك بالآيات التي توضح معانيه وتؤكدها.
5) نقص الدراسات التي تتناول هذا الفن في الدراسات الأكاديمية والتي نرجو من الله أن ييسر لها من هو كفء لها لتدرس من خلال البحوث الجامعية والأيام الدراسية.

مُلحق

خطبة حال المسلمين بين المعاصي والذنوب واحتباس المطر[1]

الحمد لله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل التوبة سببا للنجاة والفلاح فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ (2)

ونصلي ونسلم على أفضل التوابين، وأكمل المستغفرين، محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحابته والتابعين.

أما بعد أيها الإخوة المؤمنون، فإننا ونحن عباد الله الفقراء، الراجون عونه ورفده، المؤملون خيره وفضله، المتقون نقمته، المشفقون من عذابه، ضعفاء لا حول لنا ولا طول، قصراء عن أن نحقق طلبة إلا بعون منه تعالى يمده متى يشاء لمن يشاء وكيف يشاء، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ (3)

سبحانه يريد منا أن نلتزم ذكره، ونستديم شكره، وأن نقبل عليه بصالح الأعمال، ليقبل علينا بما يتفضل به من نوال، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ (4)

---

[1] الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر الجمعة، ص 216/213.

[2] - سورة النور، الآية 30.

[3] - سورة آل عمران، الآية 18.

[4] - سورة البقرة، الآية 152.

أيها الناس! علينا أن نحاسب أنفسنا هل نحن على ذكر ربنا دائمون؟ وعلى التوبة مداومون، وفي شكره بالصالحات قائمون؟ ونحن نعلم أن الحياة أخذ وعطاء، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿39﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿40﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿41﴾ ﴾ [1]

إن الناس اليوم يعيشون في أزمات متتابعة كقطع الليل المتشابه، وتعقدت عليهم الأمور واستعصت الحلول والمتسلطون على العالم كفرة وملحدون، شرقيون وغربيون، نسوا الله بطغيانهم فنسيهم، ونسو الله فأنساهم أنفسهم، وغرهم في حضارتهم ما كانوا يعملون، ونحن المسلمين، سرنا وراءهم تابعين، واقتفينا آثارهم غافلين، وجرينا مستمسكين بركابهم لاهثين، وتقلدنا تقاليدهم مختارين، حتى لا يقولوا عنا مازالوا متخلفين، وجاريناهم حتى لا ينعتونا بالمتشددين، فأعرضنا كما أعرضوا، وخضنا كالذي خاضوا، وتوددنا إليهم فلقينا معهم نصبا، ولم نتحبب إلى ربنا رغبا ورهبا على الرغم من أننا نشاهد ما ينزل الله من كوارث ونكبات؛ حتى إذا جاءتنا ساعة العسرة وزاغت القلوب، وأنهك قوانا النصب واللغوب، جأرنا إلى الله باكين أو متباكين، لكن رب العزة والجبروت يقول: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿64﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿65﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿66﴾ ﴾ [2]

أيها الناس! إن الذي نشكوه اليوم في بلادنا أي في كافة القطر هو انحباس القطر، حتى كانت أرضنا أو كادت تكون صعيدا جرزا، وقد أصبح ماؤها غورا فلم نستطع له طلبا، ولا شك أن ذلك فتنة من ربنا وابتلاء، وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿35﴾ ﴾ [3]

---

[1] - سورة النجم، الآيات: 41/39.

[2] - سورة المؤمنون، الآيات: 66/64.

[3] - سورة الأنبياء، الآية 35.

تذكروا معي أيها الناس أن لنزول الغيث أسبابا وعوائق، أما أسباب نزوله فالاستقامة في السلوك وصفاء القلوب، وأداء الحقوق واجتناب المعاصي والموبقات والإتيان بالفرائض والواجبات ثم التوجه إلى الله بالدعاء الخالص، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿16﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [1]

وأما عوائقه التي تحجبه فارتكاب الفواحش وأكل الربا، وتعاطي الخمور، والضغائن والأحقاد، والخصومات، لاسيما الفاجرة، ونقض العهود والخوض في أعراض الناس، والغصب والسرقة، والرشوة وتطفيف الكيل، وأكل مال اليتيم، والإضرار بالجار ومنع الحقوق والغش، والأنانية واللامبالاة والمراهنة، ألا يكفي بعض منها فضلا عن كلها لأن تكون سببا في انحباس المطر؟ قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿63﴾ ﴾ [2]

ولولا لطف الله بالبهائم الرتع والصبيان الرضع لما بضت مطرة ولما أصابت الناس منها قطرة. وقال الشاعر الحكيم:

يطـــــــوف الســـــــحاب بأرض لنـــا طـــواف الحجـــيج ببيـــت الحـــرام
يريـــــــد النـــــــزول فيمنعـــــــه ارتكـــاب الـــذنوب وأكـــل الحـــرام

****

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

---

[1]- سورة الجن، الآية 16.

[2]- سورة النور، الآية 63.

أيها الناس! إن التوجه إلى الله والالتجاء إليه أمر محمود؛ إذ لا ملجأ من الله إلا إليه، وإن التضرع إلى الله شيء واجب؛ إذ لا مفر من قوة الله إلا إلى حماه، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [1]

ولكن علينا أيها الناس أن نأتي البيوت من أبوابها، وأن نذهب إلى المقاصد من طريقها، ثم علينا أيها الناس أن نراعي مقام رب العزة ذي الجلال والإكرام، أيليق بمقام الله وجلاله ونحن ندعوه كما فعلنا يوم الجمعة الماضية – ونطلبه الغيث بجانب جبل على قمته ترتكب الفواحش وتؤتى، وعلى ظهره تعاقر الخمور وتسقى، ونحن في أسفل هذا الجبل نصلي صلاة الاستسقاء؟ ألا نخشى أيها الناس أن نكون المعنيين بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿65﴾ ﴾ [2]

فالأحرى بنا أيها المؤمنون أن نعنى أولا بتطهير الموضع سيما وهو يحتل من البلد أعلى موقع، والأحرى بنا أيها المؤمنون أن نطهر قلوبنا، وننظف معاملاتنا، ونصفي أقواتنا، ونقوم أخلاقنا وسلوكاتنا، ونصحح وضعيتنا بيننا وبين ربنا.

ثم بعد ذلك فحيثما صلينا صلاة تعرج إلى عليين بيضاء مسفرة تقول وتردد: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿56﴾ ﴾ [3]

---

[1]- سورة غافر، الآية 60

[2]- سورة التوبة، الآية 65

[3]- سورة الأعراف، الآية 55

ثم ترتد علينا بإذن الله خيرا وبركة ومطرا غرقا مغيثا ممرعا يقول ربنا: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿10﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿11﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿12﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿13﴾ ﴾ [1]

فاللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بذنوب غيرنا ولا بما كسبت أيدينا ولا بما فعل السفهاء منا.

[1]- سورة نوح، الآيات: 13/10.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية ورش نافع.

2- ابن منظور، لسان العرب.

3- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، س.ط: 1979، ج:2.

4- أبو الفضل بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004م.

5- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.

6- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر، د.ت.ط.

7- بكري شيخ الأمين، البلاغة العربية في ثورتها الجديدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ج1.

8- الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996.

9- الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر الجمعة، منشورات ألفا، برج الكيفان، الجزائر، 2015.

10- الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، صوت المسجد من منبر العيدين، منشورات ألفا، 2015.

11- عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.س.

12- عبد الله علي جابر المري، الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية.

13- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2.

14- محفوظ علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام.

15- محمد ربيع، علوم اللغة العربية، دار الفكر، عمَّان، الأردن، ط1، 2007.

16- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

17- موقع الإسلام سؤال وجواب، 21/04/2010، ر. السؤال: 146079.

18- موقع الموسوعة العربية، عادل الفريجات وشفيق بيطار، المجلد الثامن.

19- موقع تربقافة (تربية وثقافة)، د.ك

20- موقع موضوع، آلاء جرار، آخر تحديث يوم 2021/7/18م.

الفهرس

فهرس المحتويات:

الموضوع.....**الصفحة**

ملخص البحث .....

إهداء.....

مقدمة.....

المبحث الأول:.....06

المطلب الأول: تعريف بالأديب أحمد بن عمر أوبكة.....08

المطلب الثاني: الخطبة: تعريفها، خصائصها، التطور الزمني لها، الأنواع 13

المبحث الثاني: دراسة فنية وفكرية لعينة من خطب الأديب أحمد أوبكة 27

المطلب الأول: الدراسة الفكرية ومحتويات الخطبة 29

المطلب الثاني: الدراسة الفنية للخطبة 37

خاتمة البحث 43

ملحق: خطبة حال المسلمين بين المعاصي والذنوب واحتباس المطر 45

قائمة المصادر والمراجع 51

فهرس المحتويات.....55

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى